قيم المواطنة في الدين الإسلامي والديانة المسيحية
[قيمة العدل والمساواة أنموذجا]

د. عماد محمد فرحان
كلية الإمام الأعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث الموسوم
قيم المواطنة في تصور الدين الإسلامي والديانة المسيحية
- قيمة العدل والمساواة أنموذجا -

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال النتاج الفكري للإنسان، ومن خلال تراكم المنجزات الحضارية والتي ساهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغيب لفترات طويلة وتحت مسميات مختلفة.

ولقد تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاضد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

والمواطنة تتعدى العلاقات والروابط الاجتماعية كالعشائرية والمذهبية والقومية والعرقية والإثنية والدينية وغيرها، غير أن الفرد من حيث هو عضو في طائفة فهو موجود إذن في محيط يحيط به من جميع الجهات، وهذه الإحاطة الشاملة مفروضة عليه بصفة كيانية غير قابلة للنقاش، فهو الابن للطائفة كما هو الابن للعائلة، فالإنسان

وفقا لذلك لا يختار طبيعة المجتمع الذي يولد فيه، أو نوع القومية التي ينتمي إليها، أو نمط الدين الذين يؤمن به، بيد أن انتماءه إلى حزب سياسي أو انتسابه إلى منظمة اجتماعية، أو انخراطه بنشاط جمعية ثقافية يأتي في سياق اختياره الذاتي، ورغبته الشخصية بعد أن يعتقد أن تلك النشاطات يمكنها أن تلبي جزءً من طموحاته وتنسجم مع بعض ميوله وتطلعاته.

وأما المواطنة فالإسلام، فقد عبّر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بحب الوطن والارتباط به، بقوله لما همّ بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك)) وروي أنه عليه الصلاة والسلام نظر ذات مرة إلى جبل أحد فقال: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)) مما يدلل على الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان.

فتنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وقد تجلى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين من غير المسلمين مع المسلمين، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر النبي صلى الله عليه وسلم الوثيقة السياسية الأولى، المعروفة تاريخيا باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة المنورة.

وإن قيم المواطنة المتفق عليها هي: المساوة، والحرية، والعدل، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية، وإني في بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على قيمة العدل وقيمة المساوة، من خلال تشريعات الدين الإسلامي وتعاليم المسيحية.

وقد اقتضت المادة العلمية أن يتم تقسيم البحث إلى تمهيد في مفهوم المواطنة ونشأتها، ومبحثين:

تكلمت في المبحث الأول عن قيمة المساواة، وبينت في هذا المبحث على شكل مطالب تعريف المساواة في اللغة والاصطلاح، ثم تطرقت إلى مجالات المساواة في المواطنة وهي المساواة أمام القانون، وفي المرافق العامة، وأمام المنافع الاجتماعية، كل هذا بين الشريعة الإسلامية والديانة المسيحية.

وأما المبحث الثاني فقد خصصته لقيمة العدل، في الديانتين، وكيف أن العدل مرتبط ارتباطا وثيقا بالمساواة.

ثم ختمت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع ذكر التوصيات، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله أولا وآخرا.

Summary

Values of citizenship in the perception of Islam and Christianity

- The value of justice and equality as a model -

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and the best prayer and completed the delivery on our master Muhammad and his family and companions, and after:

The concept of citizenship is considered to be one of the cultural concepts created by modern thought through the intellectual production of man, and through the accumulation of civilizational achievements which contributed to the elevation of man and made him a supreme value after he was absent and

absent for long periods under different names.

The concept of citizenship has evolved with the development of human societies, and human groups that are based on solidarity with members of a single group have begun to meet the challenges that may be faced by the bloc because of their sense of the need for others and of belonging to a group to which they belong.

And citizenship transcends social relations and ties such as tribal, sectarian, national, ethnic, ethnic, religious and other, but the individual in terms of a member of a sect is therefore located in the surrounding environment from all sides, and this comprehensive briefing imposed on him as a non-negotiable entity, he is the son of the community as the son Of the family, the human being does not choose the nature of the society in which he is born, the type of nationality to which he belongs, or the type of religion he believes in. However, his affiliation with a political party or his membership in a social organization, And his personal desire After he believes that these activities can meet part of his ambitions and comply with some of his tendencies and aspirations.

As for Islam, the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) expressed the love of the homeland and its connection to it by saying what they are going out of Makkah: “I will not give you up from a country and love you to me, but

your people will take me out of you." Once to Mount Sun, he said: ((One mountain loves us and love)), which demonstrates the connection of the nation and the sense of importance for the human.

The Islamic law of citizenship is seen as an expression of the relationship between the individual Muslim and the people of the nation, as well as the relationship between the land of the homeland and those living on it, whether they are Muslims or non-Muslims. This concept has been manifested since the inception of the Islamic State in Medina, Of non-Muslims with Muslims, in accordance with the principles of Islamic law, so the Prophet peace be upon him the first political document, historically known as (newspaper city) or what is named in the Prophet's biography of the Prophet peace be upon him to the people of Medina.

The values of citizenship agreed upon are equality, freedom, justice, participation and social responsibility. In my research, I tried to shed light on the value of justice and equal value through the legislation of the Islamic religion and the teachings of Christianity.

The scientific article required that the research be divided into a prelude to the concept of citizenship and its origin, and two topics:

I spoke about the value of equality in the first part of this

article. In this regard, I explained in this section - in the form of demands - the definition of equality in language and terminology, and then addressed the areas of equality in citizenship, equality before the law, public utilities, and social benefits. .

The second topic is devoted to the value of justice in both religions and how justice is closely linked to equality.

And then concluded with the most important findings of the research, with the recommendations, and ask him to make my work this pure to his face, and thank God first and last.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فيعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال النتاج الفكري للإنسان، ومن خلال تراكم المنجزات الحضارية والتي ساهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغُيّب لفترات طويلة وتحت مسميات مختلفة .

ولقد تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاضد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

وأما المواطنة في الإسلام، فتنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن

العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وقد تجلى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين من غير المسلمين مع المسلمين، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر النبي ﷺ الوثيقة السياسية الأولى، المعروفة تاريخيا باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية بكتاب النبي ﷺ إلى أهل المدينة المنورة.

وإن قيم المواطنة المتفق عليها هي: المساواة، والحرية، والعدل، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية، وإني في بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على قيمة العدل وقيمة المساواة، من خلال تشريعات الدين الإسلامي وتعاليم المسيحية.

وقد اقتضت المادة العلمية أن يتم تقسيم البحث إلى تمهيد في مفهوم المواطنة، وثلاثة مطالب:

تكلمت في المطلب الأول عن قيمة المساواة، وبينت في هذا المبحث مفهوم المساواة، ثم تطرقت إلى مجالات المساواة في المواطنة وهي المساواة أمام القانون، وفي المرافق العامة، وأمام المنافع الاجتماعية.

وأما المطلب الثاني فقد خصصته لقيمة العدل، في الديانتين، وكيف أن العدل مرتبط ارتباطا وثيقا بالمساواة.

وأما المطلب الثالث فجعلته في العدل والمساواة في الديانة المسيحية.

ثم ختمت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع ذكر التوصيات، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله أولا وآخرا.

تمهيد
في مفهوم المواطنة وقيمها

● **فأما المواطنة في اللغة:**

فقد اشتقت من كلمة وطن، ومعنى الوَطَنُ: مَوْطِنُ الإنسان ومَحَلُّهُ.(١)

«الوَطَن فكلّ مَكَان قَامَ بِهِ الْإِنْسَان لأمرٍ فهوَ مَوْطن لَهُ» .(٢)

«أَوْطَنْتُ الأرضَ، ووَطَّنْتُها تَوْطيناً واسْتَوْطَنْتُها، أي اتَّخذتها وَطَناً. وكذلك الاتِّطانُ، وهو افتِعالٌ منه. وتوطين النفس على الشئ، كالتمهيد. ويقال: من أين ميطانُكَ، أي: غايتك».(٣)

«الوَطَنُ: المَنْزِلُ تُقِيمُ بِهِ، وَهُوَ مَوْطِنُ الإِنسان وَمَحَلُّهُ؛ وَقَدْ خَفَّفَهُ الشاعر فِي قَوْلِهِ:

أَوْطَنْتُ وَطْناً لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَني، ... لَوْ لَمْ تَكُنْ عاملَها لَمْ أَسْكُنِ

بِهَا، وَلَمْ أَرْجُنْ بِهَا فِي الرُّجَّنِ

وَالْجَمْعُ أَوْطان. والمَوْطِنُ: مَفْعِلٌ مِنْهُ، وَيُسَمَّى بِهِ المَشْهَدُ مِنْ مشَاهد الْحَرْبِ، وَجَمْعُهُ مَوَاطن. والمَوْطِنُ: المَشْهَدُ مِنْ مَشَاهد الْحَرْبِ» .(٤)

وأما المواطنة في الاصطلاح

عرف الباحثون والمختصون المواطنة اصطلاحا بتعريفات عدة، من أهمها:

المواطنة: هي علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك

(١) العين: ٧/ ٤٥٤ مادة (و ط ن).

(٢) تهذيب اللغة: ١٤/ ٢١ مادة (و ط ن).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٢١٤ مادة (و ط ن).

(٤) لسان العرب: ١٣/ ٤٥١ مادة (و ط ن).

العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة.[1]

وقيل: المواطنة هي البلد الواحد، الذي يعيش فيه الفرد، وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته، ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية.[2]

وقيل: إن المواطنة تعبير عن التعلق والارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكوّن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه.[3]

أو يمكن تعريفها بأنها: صورة من صور التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس، والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله.[4]

فالمواطن إذن هو الإنسان الذي يستقر في بُقع أرض معينة، وينتسب إليها، أي مكان الإقامة أو الاستقرار أو الولادة أو التربية، فالمواطنة نسبة إلى الوطن وهو المكان الذي ينتمي إليه الفرد والجماعة، تراثيا وتاريخيا وجغرافيا، كذا الشعور بالتعلق به أكثر من غيره، فالمواطنة حقوق وواجبات، ومبادرة الإنسان ومسؤولياته تجاهه وتجاه الجماعة التي ينتمي إليها، وهذه الحقوق والواجبات لا تمارس إلا في مجتمع عادل وديمقراطي، يحرص على المساواة وتكافؤ الفرص وتحمل أعباء التضحية، من أجل ترسيخ هذه المبادئ وحمايتها وفتح آفاق تحسين ممارستها، برؤية تتطلع إلى المستقبل، وبحماس لا تطغى فيه

(١) القاموس السياسي، لأحمد عطية: ١٢٦٨.
(٢) المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، لبشير نافع: ٢٤٧.
(٣) تربية المواطن، لمحمد الشيباني: ٣٥.
(٤) حب الوطن من منظور شرعي، د. زيد عبد الكريم الزيد: ٥٣.

العاطفة على العقل والحكمة.[١]

ولا شك أن الحق في المواطنة هو من أهم الحقوق الدستورية التي تتمحور حولها سائر الحقوق المدنية والسياسية والفردية سواء منها والاجتماعية، وإن الحق الدستوري يعني القاعدة التي تعتمد عليها الهيئات القائمة بالسلطتين العليا في الدولة التشريعية والتنفيذية في مجال تعيين الأجهزة التي تجسدها والعلاقات التي تقوم بينها، مستقية إياه من نص تضعه سلطة مكلفة بذلك، أو من أعراف قائمة ذات صلة بهذا النص.[٢]

وإن الحق في المواطنة له أهمية كبيرة في الحياة السياسية للشعوب، وفي تكوين أي نظام سياسي، فهو من الأركان الأساسية التي يستند عليها النظام السياسي، ولذلك فإنه لا تقل أهميتها عن تلك التي تحظى بها الحقوق المدنية والسياسية التي تعترف بها الدساتير.[٣]

إلا أن هذا لا يعني أن الحق في المواطنة ليس هو الحق الوحيد الذي تقره النظم الدستورية، فيوجد إلى جانبه العديد من الحقوق المدنية والسياسية، ومنها الحق في المساواة والحق في الجنسية، ونظرا لأن الحقوق والحريات تؤثر وتتأثر ببعضها البعض، بحيث لا يوجد حق معزول عن الحقوق والحريات الأخرى.[٤]

أما المواطنة من منظور إسلامي، فقد عبر النبي ﷺ عن حب الوطن والارتباط به بقوله لما همّ بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك))[٥] ويمكن القول إن مفهوم المواطنة في الإسلام يتجاوز علاقة

(١) ينظر: المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية: ١١.
(٢) حق الجنسية في الدستور العراقي المؤقت: ١٧.
(٣) ينظر: النظم السياسية في العالم المعاصر: ٢/ ١٩.
(٤) نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني: ٧٦.
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل مكة، ٦/ ٢٠٨ برقم (٣٩٢٦) وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

المواطن بوطنه مسقط رأسه فقط، إلى المجتمع الإنساني ككل، فالمواطنة عبارة عن مستويات ودوائر متعددة من العلاقات، تبدأ من علاقة المواطن المسلم بمجتمعه المحلي مرورا بالمجتمع العربي والإسلامي، انتهاء بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقات حيث امتدت أنبتت حقوقا وواجبات محكومة بضوابط شرعية، فالمواطنة في الإسلام هي صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله تعالى.[1]

وتنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة بأنها العلاقة التي تقوم بربط المسلم الفرد بباقي أفراد الأمة الإسلامية، وكذلك تعبر المواطنة عن العلاقة بين أرض الإسلام (أي الوطن) ومن يعيشون عليها سواء أكانوا مسلمين وغيرهم، وقد تجلى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين غير المسيحيين مع الدولة الإسلامية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر الرسول ﷺ الوثيقة السياسية الأولى المعروفة تاريخيا باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية (كتاب النبي ﷺ إلى أهل المدينة المنورة)[2] أو كما تسمى في العصر الحديث بدستور المدينة، الذي منح فيه حق المواطنة لغير المسلمين، وتولي الوظائف في الدولة شريطة توفر الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة، باعتبارهم جزءً من نسيج هذه الدولة، وقد حافظت الخلافة الإسلامية – عبر العصور – على معابد غير المسلمين وكنسهم، وعملت على رعاية حرمة شعائرهم[3]، وهذا ما ورد في عهد رسول الله ﷺ لأهل نجران ((إن لهم جوار الله وذمة

(١) المواطنة الصالحة – السمات والواجبات: ١٦.

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ: ٣٣٥.

(٣) المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، د. شروق بنت عبد العزيز، و د. محمد بن خليفة إسماعيل، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م : ٣٤.

رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم)).[1]

وأما قيم المواطنة... فإن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، والقيم أحد مكونات الثقافة، ومن ثم فإن القيم تختلف من مجتمع لآخر، فقد أكدت الدراسات على وجود اختلاف في القيم وأولوياتها من مجتمع لآخر، فعلى سبيل المثال وجدت فروق بين قيم المجتمع الأمريكي وقيم المجتمع الكندي، وهما مجتمعان غربيان متجاوران، فهناك ظاهرة التمسك بالقيم التقليدية في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، والتمسك بإعطاء قيمة أو مكانة خاصة للصفوة في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، وإعلاء القيم الجمعية في كندا، مقابل الفردية في الولايات المتحدة، وهكذا.[2]

ورغم هذا الاختلاف فإن هناك قيما تمثل القاسم المشترك بين مختلف المجتمعات وأغلب الثقافات لدى الشعوب على مر العصور، مثل: (الحرية، المساواة، العدل، المشاركة، المسؤولية الاجتماعية) فهذه القيم تمثل الجانب الإنساني والعالمي لمفهوم المواطنة، وقد يضاف إليها ويحذف منها، كما قد تختلف ترجمة هذه القيم من الناحية التطبيقية من مجتمع لآخر.[3]

أما عناصر المواطنة فتتجلى في مختلف مناحي الحياة، فنجد أن القوانين النافذة في مختلف الدول تتضمن بيان حقوق وواجبات المواطن، فنظم التنشئة الاجتماعية والتربوية تستهدف تعزيز الوعي بقيم المواطنة، فضلا عن دور المؤسسات التي تعمل على إشراك المواطنين في البنية الوطنية الديمقراطية للدولة، ويرى الخبراء التربويين أن المواطنة

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة، ٥/ ٦٨ برقم (٢٨٥٤).

(٢) مفهوم وقضايا المواطنة في النصوص التعليمية بين منهجيات التمكين ومحتويات التعبئة، أحمد يوسف سعد، مجلة عالم التربية، القاهرة، العدد (٨) ٢٠٠٢م : ١٧.

(٣) الوطنية كائن هلامين، سفر محمود، وآخرون، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٢١ه: ٧٣

تشمل العديد من القيم والتقاليد والمهارات والأفعال المترابطة، وتشتمل المواطنة على هذه العناصر: (الولاء، الحقوق، الواجبات، المشاركة المجتمعية، والقيم العامة).[1]

المطلب الأول
المساواة

- **تعريف المساواة في اللغة:**

من معاني المساواة: المماثلة، والمعادلة، وهو لفظ مرادف لهما:

جاء في العين: «ساويت هذا بهذا، أي: رفعته حتّى بلغ قدرَهُ ومَبلَغَه ، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ ﴾[2] أي: الجَبَلين، أي: ردم طريقَي يأجوج وماجوج بالقِطْر، أي: سوّى أحدهما بالآخر، أي: رفعه حتّى بلغ طولُه طُولَهما.[3]

وقال في المعجم الوسيط: «(ساواه) ماثله وعادله، وَيُقَال سَاوَى فلَان قرنه فِي الْعلم وَغَيره لحق بِهِ وَهَذَا بِذَاكَ رَفعه حَتَّى بلغ قدره ومبلغه وَبَينهمَا جَعلهمَا يتماثلان ويتعادلان».[4]

- **المساواة اصطلاحاً:**

تعرف المساواة اصطلاحا بأنها: « تماثل كامل أمام القانون، وتكافؤ كامل إزاء الفرص، وتوازن بيْن الّذين تفاوتتْ حظوظهمْ من الفرص المتاحة للجميع. [5]

---

(١) ينظر: المواطنة وتعزيز العمل التطوعي: ٥٣.
(٢) سورة الكهف، من الآية: ٩٦.
(٣) العين: ٧/ ٣٢٦.
(٤) المعجم الوسيط: ١/ ٤٦٦.
(٥) الإسلام والأمن الاجتماعي: ٩٥.

أو هي: جعل الناس جميعا في الواجبات والحقوق العامة متماثلين تماثلا مطلقا.[1]

والمواطنة والمساواة مفهوما مترابطات ومتماسكان، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، ولا يمكن تحقق أحدهما من دون الأخرى، فإن طغى أحدهما على الآخر، اختل نظام المجتمع فأصبح أقل عدالة.[2]

ويعد كل من هذين المفهومين أساسا فكريا وفلسفيا للأنظمة الدستورية والديمقراطية، إذ يعد الكثير من الكتّاب الحق في المساواة والحق في المواطنة بمثابة حجر الزاوية للحريات العامة، والأساس الذي تقوم عليه، وهما من أقوى الضمانات التي تكفل التوازن في الدولة الديمقراطية وتحقق قانونيتها الحقوق والحريات الأساسية.[3] ذلك أن المساواة وما يتفرع عنها تعد بحق الركيزة الأساسية لكل الحقوق، ينتفي بانتفائها القول بوجود حريات قائمة أو مصانة في المجتمع.[4]

أما فيما يخص الأديان السماوية، فتعد قيمة المساواة من القيم الأساسية التي أكدتها كافة الأديان السماوية، وكان آخرها الإسلام، فقد نادى الإسلام – منذ ظهوره – بالمساواة بين الناس في المعاملات، دون تفرقة أو تمييز بينهم، على أساس العرق أو الجنس أو اللون، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[5] فالشريعة الإسلامية أكدت على المساواة وخضوع جميع البشر للقانون السماوي فلا فرق بين شخص وأخر، فالجميع يتمتعون بالحقوق ويتحملون بالواجبات، فعلى هذا لا يوجد أي إشكال في مفهوم المساواة، فقد

(١) السياسة الشرعية (نظام الدولة الإسلامية) : عبد الوهاب خلاف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة: ط١ ، ٢٠١٢م.: ٤٢ – ٤٣.

(٢) الأحزاب السياسية – أهميتها نشأتها نشاطها: ١٦.

(٣) النظم السياسية في العالم المعاصر: ٢٩.

(٤) النظام الدستوري المصري: ١٧.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

أقرها الإسلام بهذه الصورة، وبين حدودها، في الكتاب والسنة، كما أكدت ذلك المواثيق الدولية المقررة لحقوق الإنسان والأحكام والدساتير الوضعية الداعية إلى الديمقراطية الصحيحة وبدونها ينتفي كل معنى للديمقراطية وينهار كل مدلول للحرية.[1]

- **مجالات المساواة في المواطنة:**

١) المساواة أمام القانون

ويقصد به أن الناس يولدون ويعيشون أحرارا وسواسية على أساس المساواة الكاملة أمام القانون، فيما يخص الكرامة والحقوق والوظائف العامة، وأيضا لهم الحق في الحماية المتكافئة ضد أي تفرقة تحريض أو عنصرية، فالجميع متساوون أمام أنظمة وشريعة الدولة.[2]

٢) المساواة في المرافق العامة

ويقصد بالمرافق العامة: كل المرافق التي وجدت لهدف إشباع الحاجات العامة لجميع المواطنين، يشمل ذلك مرفق التعليم والأمن والصحة والمياه والكهرباء وغيرها تقتضي هذه القيمة ضرورة استمرارية، وتجهيز المرافق العامة بالكيفية التي تمكن المنتفعين من الانتفاع منها بصورة متساوية، مع تحمل الأعباء والتكاليف والرسوم التي تفرضها هذه المرافق دون أي محاباة أو تحيز.

٣) المساواة أمام المنافع الاجتماعية

وتعني التمتع بكافة الحقوق بدون تفاوت فيها، فمثلما للمواطن حقوق محفوظة، عليه واجبات يؤديها للدولة، نظير الخدمات التي يتمتع بها كغيره من المواطنين.[3]

(١) المواطنة ومفهوم العمل التطوعي: ٤٦.

(٢) مبدأ المساواة أمام المرافق العام: ٢٤٠.

(٣) نظام الحكم في الإسلام، محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م : ٢٣.

٤) المساواة في تولي الوظائف العامة

فكل مواطن يستطيع تولي أي وظيفة، بحسب مؤهلاته وقدراته وبناء على معايير محددة ومحايدة.(١)

وأما مبدأ المساواة في الإسلام، فلقد جاء الإسلام في وقت، كان الناس فيه طبقات، ودرجات، يتمايز بعضهم على البعض الآخر، ويتفاضل شريفهم على وضيعهم، وغنيهم على فقيرهم، وأبيضهم على أسودهم، وذكرهم على أنثاهم، فجاء الدستور الإسلامي، بإلغاء هذا التميز المجحف بالحقوق، ليبين أن الناس جميعهم سواء بإنسانيتهم، وكما سنبينه في ما يأتي:

- **وفيما يخص مفهوم المساواة في القرآن الكريم:**

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾(٢).

وقوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾(٣).

يتضح من الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى ينادي الناس قاطبة، ويردهم إلى الأصل الذي انبثقوا منه، ليقرر أن هذه البشرية جنسها واحد، ونسبها يتصل من رحم واحد، ومن اجتمعت فيهم هذه الأصول فلا مجال لأن يدعي أحدهم العلو بالفروق الطارئة على الإنسانية، فربهم واحد، وأبوهم واحد، وأصلهم واحد، وهم متساوون في جميع الحقوق والواجبات، فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر أو تتناكر، بل لتتعارف وتتآلف، كلها عند الله تعالى سواء، لا تتفاضل إلا بالتقوى، لأن الناس كلهم

(١) مبدأ المساواة أمام المرافق العامة: ٢٤٣.

(٢) سورة الحجرات: ١٣

(٣) سورة النساء: ١

سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.[1]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] وكذلك أرسله رحمة للعالمين، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].

يتبين من الآيتين الكريمتين: أن النبي ﷺ أُرسِل للناس كافة، ولم يختص به فئة دون فئة، أو أمة دون أخرى، فقد أبان الله تعالى عموم الرسالة المحمدية للناس جميعا، فليست ذات نزعة عنصرية، ولا حكرا على العرب وحدهم... ومعنى الآيتين: وما أرسلناك أيها النبي لقومك العرب خاصة، بل أرسلناك للناس قاطبة، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم...[4]

- **أما المساواة في السنة النبوية:**

فلقد أكد النبيﷺ على مبدأ المساواة الذي قرره القرآن الكريم، والأمثلة على ذلك كثيرة في السنة النبوية المطهرة.

١. ففي حجة الوداع خطب رسول اللهﷺ بالناس فقال: ((يا أيها الناس، ألا إن إلهكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى...)).[5]

فالإسلام الذي جمع الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وسائر الألوان الإنسانية على صعيد واحد، يقرر في القواعد الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية أنه لا فضل لعربي

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ٤٥.

(٢) سورة سبأ:٢٨

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧

(٤) ينظر: التفسير المنير: ٢٢/ ١٨٣.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٨/ ٤٧٤، برقم (٢٣٤٨٩) وقال عنه شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح».

على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو عمل صالح، وأن الناس كلهم على اختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم في الحقوق الإنسانية سواء، وأن كل واحد منهم أهل لأن يرتقي بكفاءاته وأهليته أعظم منصب سياسي أو ديني في الإسلام. (١)

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: ((لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب)). (٢)

لقد أصبحت الطبقات والأجناس في المجتمع الإسلامي متعاونة متعاضدة، لا يبغى بعضها على بعض، وبيّنه قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾(٣). ووصف حال النساء فقال سبحانه: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ (٤) ، وقال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ (٥)، وأصبح كل واحد في المجتمع راعياً ومسئولاً عن رعيته. (٦)

٣. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول اللهﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة: ٢٢٩.

(٢) سنن الترمذي، باب فضل في الشام واليمن، برقم (٣٩٥٥) : ٥/ ٧٣٤ ، ومعنى الحديث: (الّذي يدهْده الْخراء) أيْ: يدحْرجه (بأنْفه) : صفةٌ كاشفةٌ له، والْخراء بفتْح الْخاء والرّاء مقْصورًا، وهو الْعذرة، والْحاصل أنّه - صلّى اللّه عليْه وسلّم - شبّه الْمفْتخرين بآبائهم الّذين ماتوا في الْجاهليّة بالْجعل، وآباءهم الْمفْتخر بهمْ بالْعذرة، ونفْس افْتخارهمْ بهمْ بالدّهْدهة بالْأنْف. ينظر: مرقاة المفاتيح: ٧/ ٣٠٧٢ - ٣٠٧٣.

(٣) سورة النساء: ٣٤.

(٤) سورة النساء: ٣٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٦) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١/ ٩٥.

حب رسول اللهﷺ ؟ فكلمه أسامة، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أتشفع في حد من حدود الله؟)) ثم قام فخطب ثم قال: ((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).[1]

فهذه صورة من أروع صور المساواة في حياتهﷺ «، المساواة أمام القضاء، وإقامة الحدود، وإن كان من أقرب الناس إليه، وهي ابنته فاطمة رضي الله عنها.

٤. روى ابن إسحاق: أن رسول اللهﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيّة، حليف بني عدي بن النجار وهو مستتل من الصف، فطعن بطنه بالقدح وقال: ((استو يا سواد)) فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني! فكشف رسول اللهﷺ عن بطنه فقال: ((استقد)) قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)) قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك...).[2]

من هذا الحديث الشريف، يتبين لنا أن النبيﷺ كان يطبق مبدأ المساواة حتى مع نفسه! فإن من أهداف التمكين إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته بكل أشكاله وأنواعه، فإذا نظرنا لتاريخ الدولة الإسلامية في زمن النبيﷺ والخلفاء الراشدين، ومن سار على هديهم من التابعين رأينا صورا مشرفة – مثل هذه الصورة – تدل على عظمة هذا الدين، وحب هذه الأمة للعدل.[3]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم (٣٢٨٨) ٤/ ١٧٥ ، وصحيح مسلم، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، برقم (١٦٨٨): ٣/ ١٣١٥.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٦٢٦ ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) : ٢/ ٤١٠ ، البداية والنهاية: ٣/ ٢٧١ ، السيرة الحلبية: ٢/ ٤٠٣ والقدح: السهم، والمستتل: المتقدم.

(٣) ينظر: تبصير المؤمنين: ٥٥٥.

المطلب الثاني
العدل

● **العدل في اللغة:**

يأتي بمعنى: الحكم المرضي، والاستقامة، والتساوي، والتسوية، والمثل، والقيمة، والفداء... ذهب الخليل بن أحمد إلى أن « العَدْلَ: المَرْضِيُّ من الناسِ قولُهُ وحُكْمُهُ... والعَدْلُ: الحكْمُ بالحقّ... وعِدْل الشيء: نظيره، هو عِدْلُ فلانٍ...».(١)

ويرى الأزهري أن «العَدل والعِدْل وَاحِد فِي معنى المِثْل... والعَدْلُ: الاسْتقَامَة...».(٢)

وقال الفراء: « العَدْلُ بالفتح ما عادَلَ الشيء من غير جنسه... والعَديلُ: الذي يُعادِلُكَ في الوزن والقَدْر...».(٣)

ويقول ابن سيده: « العَدْلُ: الفِداءُ... وَقيل: العَدْلُ: الكَيْل. وَقيل: العَدْلُ: المِثْلُ...».(٤)

أما ابن منظور فيرى أن: « العَدْل: مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنه مُسْتقيم، وَهُوَ ضِدُّ الجَوْر... وفي أسماء الله سبحانه العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه؛ لأنه جعل المسمى نفسه عدلا... وَفُلَانٌ يَعْدِل فُلَانًا، أي: يُساوِيه... وَقِيلَ: العَدْلُ تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ حَتَّى تَجْعَلَهُ لَهُ مِثْلًا... والعَدْل الاستقامة...».(٥)

● **العدل اصطلاحا:**

لا يخرج معنى العدل في الاصطلاح عن معانيه اللغوية، فهو يدور حولها بحسب ما

---

(١) العين: ٢/ ٣٨ مادة (عدل).
(٢) تهذيب اللغة: ٢/ ١٢٣ ، مادة (هدل).
(٣) الصحاح: ٥/ ١٧٦١ مادة (عدل).
(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ٢/ ١٤ مادة (عدل).
(٥) لسان العرب: ١١/ ٤٣١ ، ٤٣٣ ، وينظر: القاموس المحيط: ١/ ١٠٣٠.

يضاف إليه أو ما يستعمل له:

فقد عرفه الجرجاني بأنه: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط... أو: هو من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق والبول.[1]

وجاء العدل في اصطلاح الفقهاء بمعنى: من تكون حسناته غالبة على سيئاته[2]، وهو ذو المروءة غير المتهم[3].

وتعد قيمة العدل قيمة سامية دعت إليها جميع الأديان السماوية، فالعدل يعني القسط والموازنة والإنصاف، وإيصال كل حق إلى مستحقه، كما أن قيمة العدل مرتبطة ارتباطا وثيقا بقيمة المساواة، فلا تتحقق المساواة إلا بتحقيق العدل ليكون الجميع أمام القانون سواء، فكلما اتسع نطاق تطبيقه عم الخير والأمن والاستقرار، وكلما انتشرت العدالة الاجتماعية زاد انتماء الناس لوطنهم وحبهم له وإخلاصهم وتفانيهم في سبيل رفعته وحمايته والتضحية في سبيله، في جميع الظروف والأوقات.[4]

إن ركائز العدل عندما تتعمق في النفوس، وتترجم في السلوك اليوم للإنسان على مختلف المستويات، ستترك الأثر العميق والفعال لنهوض الأوطان، وتحقيق التنمية المستدامة في ظل مناخ يسوده الأمن والاستقرار والطمأنينة وفي المقابل فإن تدني قيمة العدالة أو غيابه أو انحيازها، ستخلق مناخا اجتماعيا يجعل مشاركة المواطن واهتمامه بالمصلحة العامة وبشؤون وطنه ومجتمعه أمرا ثانويا لا يعنيه، وهذا يعني أن أجهزة

(١) التعريفات للجرجاني: ١/ ١٩١.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ٤ / ٤٢٧، القوانين الفقهية: ٣٠٣، ومجلة الأحكام العدلية: ٣٤٤ مادة ١٧٠٥ ، كشاف القناع : ٦ / ٤١٨.

(٣) معين الحكام: ص٨٢

(٤) موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية: ٤٨.

الأمن ستفقد أهم مقوم من مقومات نجاحها وهو المواطن، لذلك فعلى الدولة الرشيدة القائم بتطبيق العدالة من خلال إتاحة الفرص بالتساوي، بين أبناء ومناطق الوطن على قدم المساواة ودون تحيز أو محاباة، بحيث يشمل ذلك جميع المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية، وكافة الخدمات التي توفر للجميع حياة معيشية كريمة، إضافة إلى التقيد بمبدأ تكافؤ الفرص للجميع، وصولا إلى ضمان المشاركة المجتمعية الذاتية، التي يكون الدافع لها هو المواطنة الصالحة، التي تهدف إلى تحقيق مصلحة الجميع تحت مظلة المصلحة العليا للوطن، وذلك من جميع فئات ومذاهب المجتمع دون استثناء.(١)

وإن العدل من أهم الحقوق الإسلامية التي تحقق سعادة الفرد والمجتمع، وهو من القيم الأساسية وركيزة من الركائز المهمة التي يقوم عليها المجتمع، وغيابه يؤدي إلى انهيار الأسر والمجتمعات والأمم، فبوجوده يعيش الناس بسلام وأمان، وبفقده يعم المجتمع الخراب والظلم ويسيطر القوي على الضعيف، إذ الظلم مؤذن بخراب العمران، كما يقول ابن خلدون.(٢)

ولما كانت قيمة العدل عظيمة عند الله اشتق اسما له منها وهو (الحكم العدل) (٣)، فبإقامة العدل، تستقيم أمور الناس، وفي ظله تعيش الشعوب بسلام وأمان، وهو من أهم عناصر مقومات الحكم ودوامه ونصره، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا

(١) المجتمع المدني – قضايا المواطنة وحقوق الإنسان: ٩١.

(٢) ينظر: المقدمة: لابن خلدون: ١/ ٤٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين، باب حديث معمر، برقم (٤١) ١/ ٦٢ ، وقال عنه: « هَذَا حَدِيثٌ قَدْ خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ دُونَ ذِكْرِ الْأَسَامِيَ فِيهِ» وقال عنه الذهبي في التخليص: لم يخرجا الأسامي لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلة فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش».

ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بتحقيق العدل في الأرض، وأن تبني حياتها كلها على أصوله، وتحيا الشعوب والأمم والأفراد حياة حرة عادلة آمنة مطمئنة، وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة، وقد أوصلها بعض الباحثين إلى قرابة ثلاثمائة آية تتعلق بالعدل وما يرادفه من ألفاظ ومعانٍ.[2]

ولقد قمت بجرد آيات العدل في القرآن الكريم، فوجدتها أربعا وعشرين آية، تذكر العدل، سواء كان بلفظه أو ما اشتق منه، أو ما كان بمعناه، وهذا يبين لنا مدى أهمية إقامة العدل عند الله تعالى، وقيمته العظيمة.

لقد كان النبي ﷺ خير مثال للإمام العادل بين أفراد رعيته، ومع أصحابه، وفي بيته مع أهله، وفي تطبيق حدود الله... وامتد عدله ﷺ إلى غير المسلمين، وبذلك رسخ قيم العدل قولا وعملا، وصور ذلك كثيرة في سيرته ﷺ فقد حرم الظلم الذي هو ضد العدل، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا...)) [3]

المطلب الثالث
قيم العدل والمساواة في المسيحية

إن الكتاب المقدس بعهديه – القديم والجديد – مليء بالنصوص التي تؤسس لمبدأ المساواة بين بني البشر، والعدل في كل شيء، من ذلك ما ورد في المساواة بين الأجناس، وبين العبيد والأحرار، وبين الرجل والمرأة، ما يلي:

(١) القصص: ٥٩.
(٢) ينظر: نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي: ٣٥.
(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧) ٤/ ١٩٩٤.

١- «لا فرق بين يهودي ويوناني؛ لأن رباً واحداً للجميع ...».[١]

٢- «لا فَرقَ الآن بين يهودي وغير يهودي، بين عبدٍ وحُر، بين رجلٍ وامرأة، كلكم واحد في المسيح يسوعَ...».[٢]

٣- «ففي الربُ لا تكون المرأةُ من دون الرجلِ، ولا الرجلُ من دون المرأةِ..».[٣]

أما ما يخص المساواة بين الأغنياء والفقراء، فقد جاء في الكتاب المقدس:

١- «الغني والفقير يتلاقيان، فكلاهما صنعهما الربُ ...».[٤]

٢- «لا تقهرِ الفقيرَ؛ لأنه فقيرٌ، ولا تَسحَقِ المسكينَ في القضاءِ..».[٥]

٣- «اسمعوا يا إخوتي الأحباءُ: أما اختارَ الله فُقراء هذا العالم ليكونوا أغنياء بالإيمان.... وأنتم تحتقرونَ الفقراء،،،. أحب قريبك مثلما تُحبُ نَفسَكَ.. «.[٦]

وما يخص حرية الاختيار وتقرير المصير، جاء في الكتاب المقدس قوله:

١- «وانا أَشهدُ عليكم اليومَ السماء والارضَ بأني جَعلتُ بين أيديكمُ الحياةَ والموتَ والبركةَ.. فأختاروا الحياةَ لتحيوا أنتم وذريتكم..».[٧]

٢- «ها أنا واقِفُ على البابِ أدقهُ، فإن سَمِعَ أحدُ صوتي وفتحَ البابَ دخلتُ اليه وتعشيتُ معهُ وتعشى هو معي..».[٨]

---

(١) رومية ١٠ : ١٢.
(٢) غلاطية ٣ :٢٨.
(٣) كو١١ :١١.
(٤) أمثال ٢٢ : ٢.
(٥) أمثال ٢٢:٢٢.
(٦) يعقوب ٢ :٥-٩.
(٧) تث ٣٠ :١٩.
(٨) رؤ ٣ :٢٠.

٣- «يَعِدونكم بالحرية وهم عبيد للمفاسد، لأن الإنسان عبد لِما استولى عليه..».[١]

٤- «أما الذي أكبَ على الشريعة الكاملة، شريعة الحرية، ولزمَها، لا شأن من يسمع ثم ينسى، بل شأن من يَعمل، فذاك الذي سيكون سعيداً في عَمله..».[٢]

وأما مبدأ العدالة ف هناك تسعة وأربعين آية في الكتاب المقدس تدعو الى العدل والعدالة، منها ما يلي:

١- «لتفرح الأمم وتُهلل لِأَنَكَ بالعدلِ تدينُ بالاستقامةِ تَدين الشعوب وفي الأرضِ تهدي الأمم سلام ...».[٣]

٢- «إن رأيتَ ظلم الفقير وما يخالفُ العدلَ في بعض الأقاليم فلا تعجب من الأمرِ فإن فوقَ العالي أعلى منه يسهر وفوقهما من هو أعلى منهما..».[٤]

٣- إجراء العدلِ والحق أفضلُ عند الرب من الذبيحة..».[٥]

٤- «افتح فَمَكَ وأحكم بالعدل وأنصف البائسَ والمسكين..».[٦]

(١) بط٢ ف٢ آية ١٩.
(٢) يع ف١ آية ٢٥.
(٣) مزامير ٦٧ آية ٥.
(٤) جا ف٥ آية ٧.
(٥) أمثال ف٢١ آية ٣.
(٦) أمثال ف٣١ آية٩.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العطرة في قيم العدل والمساواة المندرجة تحت المواطنة، يمكن القول إن البحث توصل إلى النتائج التالية:

يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال النتاج الفكري للإنسان، ومن خلال تراكم المنجزات الحضارية والتي ساهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغُيّب لفترات طويلة وتحت مسميات مختلفة.

تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاضد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

تتعدى المواطنة العلاقات والروابط الاجتماعية كالعشائرية والمذهبية والقومية والعرقية والإثنية والدينية وغيرها، غير أن الفرد من حيث هو عضو في طائفة فهو موجود إذن في محيط يحيط به من جميع الجهات

المواطنة فالإسلام، عبّر عنها النبي ﷺبحب الوطن والارتباط به، بقوله لما همّ بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك)) وروي أنه عليه الصلاة والسلام نظر ذات مرة إلى جبل أحد فقال: ((أُحُد جبلٌ يحبنا ونحبه)) مما يدلل على الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان.

تنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

قيم المواطنة المتفق عليها هي: المساواة، والحرية، والعدل، والمشاركة، والمسؤولية

الاجتماعية، وإني في بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على قيمة العدل وقيمة المساواة، من خلال تشريعات الدين الإسلامي وتعاليم المسيحية.

المصادر والمراجع

١.أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير – الاستِشراق – الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : ١٤٢٥هـ) دار القلم – دمشق، ط٨ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٢.الأحزاب السياسية – أهميتها نشأتها نشاطها، د. سعاد الشرقاوي، مركز يونية، مصر، ٢٠٠٥م.

٣.أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ) تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، ط٢ ، ١٤١٤

٤.الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

٥.البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ط١ ، ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

٦.تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٧.التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت

-لبنان ط١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٨.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٩.تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١ ، ، ٢٠٠١م.

١٠.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ ، ١٤٢٢هـ

١١.حق الجنسية في الدستور العراقي المؤقت، د. حسن الهداوي، صدر القانون في ٢١/ أيلول/ ١٩٦٨م، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨.

١٢.سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢ ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

١٣.السياسة الشرعية (نظام الدولة الإسلامية) : عبد الوهاب خلاف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة: ط١ ، ٢٠١٢م.

١٤.السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون : علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ.

١٥.السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

١٦.السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١٧.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٨.العدالة الاجتماعية في الإسلام: لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٤ ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٩.العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

٢٠.القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢١.كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) ، دار الكتب العلمية .

٢٢.لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٣.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة،١٩٦٥م.

٢٤.مبدأ المساواة أمام المرافق العام، موسى مصطفى شحادة، مجلة الفكر الشرطي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد (٩) ٢٠٠٠م .

٢٥.المجتمع المدني - قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، ليلة علي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٣م .

٢٦.مجلة الأحكام العدلية لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية تحقيق: نجيب هواويني ، نور محمد، كارخانه تجارتِ كتب، آرام باغ، كراتشي.

٢٧.المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ، ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٩.المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ، ١٤١١ه - ١٩٩٠م

٣٠.مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

٣١.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٢.المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، د. ت.

٣٣.معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام : أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي الحنفي (المتوفى: ٨٤٤هـ) ، دار الفكر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٤.مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) ، دار الكتب العلمية ط١ ، ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٥.مفهوم وقضايا المواطنة في النصوص التعليمية بين منهجيات التمكين ومحتويات التعبئة، أحمد يوسف سعد، مجلة عالم التربية، القاهرة، العدد (٨) ٢٠٠٢م .

٣٦.المواطنة الصالحة - السمات والواجبات، محمود أبو دف، ورقة عمل مقدمة للمركز العربي للتربية والعلوم والثقافة، حول التربية المدنية والمجتمع المدني، بيروت.

٣٧.المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، لعلي خليفة الكواري وأخرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م .

٣٨.المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، د. شروق بنت عبد العزيز، و د. محمد بن خليفة إسماعيل، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤٣٤ه ٢٠١٣م .

٣٩.موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، إسماعيل عبد الفتاح الكافي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٥م .

٤٠.نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني، د. سعاد الشرقاوي، موسوعة القضاء والفقه، د. ت.

٤١.نظام الحكم في الإسلام، محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م .

٤٢.النظام الدستوري المصر، د. سعد عصفور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١م د. ت.

٤٣.نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي، لجمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

٤٤.النظم السياسية في العالم المعاصر، د. سعد الشرقاوي، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠٠٢م

٤٥.الوطنية كائن هلامين، سفر محمود، وآخرون، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٢١ه.